

الحجاج البديعي في ديوان "قريب من البحر بعيد عن الزرقة" لجاسم الصحيح

أ.م.د. عبد الرحمن خلف الجميلي
قسم اللغة العربية، كلية الإمام الأعظم، العراق

الملخص

يحاول البحث أن يتناول جانباً من جوانب التحليل الأدبي الحديث متمثلاً بالحجاج البديعي الذي يعول عليه في كشف جانب الجمال والإقناع من النص الأدبي، وبعد قراءة لديوان الشاعر جاسم الصحيح قريب من البحر بعيد عن الزرقة والتدقيق في الدراسات حوله لم أجد دراسة ترصد فيه آليات الحجاجية التي تتعلق بعلم البديع، فزادت رغبة البحث لا سيما بعد تتبع نصوص الديوان الشعرية التي ألفت فيها تنوعاً في تقنيات الحجاج التي وظفها الشاعر لزعزعة المعنى مشفوعة ببناء الحجج؛ لتتنسق الوظيفة الجمالية مع الوظيفة التأثيرية. وأثرت أن أقسم البحث على مضامين عمادها: مهاد تأسيسي لمقولة العنوان، وفيه التعريف بالشاعر ونظمه، ونظرة مقتضبة في جوهر الحجاج البديعي، وانتقلت بعدها إلى تناول حجاج المحسنات اللفظية بشطريها حجاج الجنس الذي أضفى على النصوص رونقاً خاصاً يعكس براعة الشاعر في توظيف ثراء اللغة تشابه لفظين في النطق مع اختلافهما في المعنى، وحجاج الاقتباس، الذي استعمل فيه الشاعر الصحيح الأقوال والعبارات الأدبية لإثراء نظمته بجمالية ومزيد تأثير، وبيان رؤيته في إلقاء الضوء على مواضيع معينة تشد المتلقي. وانتهيت إلى حجاج المحسنات المعنوية بحجاج الطباق وحجاج المقابلة بالوقوف على ضروب من حجج المتناقضات كالصراع بين الثنائيات الشائعة في الحياة اليومية نحو الحق والباطل والحرية والذل والغنى والفقر والحب والبغض وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الحجاج البديعي، ديوان قريب من البحر بعيد عن الزرقة، جاسم الصحيح.

Rhetorical Argumentation in Jassim Al-Sahih's "Close to the Sea, Far from the Blue"

Dr. Abdulrahman Khalaf Al-Jumaili

Department of Arabic Language, Al-Imam Al-Adham College, Iraq

ABSTRACT

This research attempts to address an aspect of modern literary analysis, represented by rhetorical argumentation, which relies on it to reveal the beauty and persuasiveness of a literary text. After reading Jassim Al-Sahih's collection of poems, "Close to the Sea, Far from the Blue," and examining the literature on the subject, I found no study that monitors the argumentative mechanisms related to the science of rhetoric. This increased my interest in research, especially after examining the poetry texts of the collection, which revealed a variety of argumentative techniques employed by the poet to embellish the meaning, complemented by constructing arguments to align the aesthetic function with the impactful function.

I chose to divide the research into three main sections: a foundational introduction to the title, an introduction to the poet and his poetry, and a brief overview of the essence of rhetorical argumentation. I then moved on to discuss the argumentation of verbal embellishments in its two parts: the argumentation of paronomasia, which adds a special luster to the texts, reflecting the poet's skill in employing the richness of the language, such as the similarity of two words in pronunciation but their difference in meaning; and the argumentation of quotation, in which the poet Al-Sahih uses literary sayings and expressions to enrich his poetry with beauty and greater impact, and to express his vision in shedding light on specific topics that engage the recipient. I concluded with the argumentation of moral embellishments, with the argumentation of antithesis and the argumentation of contrast, focusing on various types of arguments of contradictions, such as the conflict between the dualities common in daily life, such as truth and falsehood, freedom and humiliation, wealth and poverty, love and hate, and others.

Keywords: rhetorical argumentation, the collection "Near the Sea, Far from the Blue," Jassim Al-Sahih.



العدد (6)
أكتوبر 2025
Volume (6)
October 2025

المجلة العربية
للدراستات الإنسانية والاجتماعية

Arab Journal of Humanities and Social Studies

ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين
أما بعد...

أضحى موضوع الحجاج مرتكزاً رئيساً من مرتكزات الخطاب البلاغي؛ فهو سبيل من سبيل الدراسات البلاغية الجديدة، وتعمل عليه في كشف الوظيفة الجمالية والإقناعية، ومن أبهى ميادين التطبيق على الحجاج البلاغي الشعر العربي عبر العصور؛ لما يحمله من تنوع في الخطاب البلاغي الإقناعي بتنوع موضوعاته: الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية. وقد حرص فيه الشعراء على تحسين طرائق الإبانة عن مشاعرهم بأساليب استدلالية لإقناع المتلقين، واتخاذ عناصر ملائمة لأحوال المخاطبين.

وفي هذا السبيل وقع الاختيار لدراسة أحد الشعراء المعاصرين، واستقر العنوان على "بلاغة الحجاج البديعي في ديوان قريب من البحر بعيد عن الزرقة لجاسم الصحيح" وهو شاعر سعودي له نتاج شعري يستأهل البحث في بنيته، ومكوناته، وألياته، ومحاوره نصوصه واستنطاق دلالاته؛ فديوانه ثري بضروب البديع التي تزينت بها قصائده، وبدا فيها الحجاج للإقناع بعد نظم قصائد جمعت بين فكر الشاعر وعاطفته وتصوره للأحداث اليومية.

وتتجلى أهمية البحث في عدّه من البحوث التي تحاول بيان العلاقة بين تقنية الحجاج وبلاغة البديع بالدراسات التحليلية لهذا اللون، وتناول الحجج والبراهين في بنية الخطاب الشعري لديوان جاسم الصحيح، وكشف آلياته الفارقة في المحسنات البديعية بشطريها اللفظية والمعنوية التي سعى الشاعر إلى توظيفها في تزيين شعره وإضفاء الجمالية وتحقيق إقناع المتلقي بتقنية الحجاج، مع محاولة الكشف عن أثر المحسنات البديعية في صياغة الخطاب الشعري الحجاجي البلاغي، واستحضار الغرض من سياقها، ورصد أدواتها وأساليبها في القصائد بالتحليل وفق التنظير الحجاجي الذي جاء في كتب الغربيين والعرب.

أما تقسيم البحث فقد اشتمل على: مقدمة فيها الأركان المعروفة في البحث العلمي، وتبعها المهاد التأسيسي الشارح لما جاء في العنوان، فعرضت فيه التعريف بالشاعر ونظمه، وأوجزت الحديث عن جوهر الحجاج البديعي، وشرعت في الدراسة بتناول حجاج المحسنات اللفظية بشطريها حجاج الجناس الذي أضفى على النصوص رونقاً خاصاً يعكس براعة الشاعر في توظيف ثراء اللغة تشابه لفظين في النطق مع اختلافهما في المعنى، وحجاج الاقتباس، الذي استعمل فيه الشاعر الصحيح الأقوال والعبارات الأدبية لإثراء نظمه بجمالية ومزيد تأثير، وبيان رؤيته في إلقاء الضوء على مواضيع معينة تشد المتلقي. وانتهيت إلى حجاج المحسنات المعنوية بحجاج الطباق وحجاج المقابلة بالوقوف على ضروب من حجج المتناقضات كالمصراع بين الثنائيات الشائعة في الحياة اليومية نحو الحق والباطل والحرية والذل والغنى والفقر والحب والبغض وغيرها، ثم الخاتمة وبها صفوة من نتائج الدراسة، وانتهى الجهد بثبت للمصادر التي اعتمدها البحث.

المبحث الأول: مهاده تأسيسي لمقولة العنوان

أ- بين يدي الشاعر ونظمه

جاسم محمد الصحيح هو شاعر سعودي من الأحساء، ولد بمدينة الجفر عام 1384 هـ حصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة الميكانيكية من جامعة بورت لاند بأمريكا عام 1410 هـ/1990م عمل بوظيفة مهندس ميكانيكي في شركة أرامكو السعودية للنفط، وهو الآن متقاعد عن العمل¹، ويعدّ من أشهر شعراء الخليج والوطن العربي، وقد تميّز بأسلوبه العذب وإحساسه المرفه الواضح بالاستعارات والتشبيهات الخيالية التي يستخدمها في قصائده على الرغم من أنه درس الهندسة الميكانيكية وعمل في شركة أرامكو إلا أنّ شغفه بالشعر كان أقوى، وبدأ رحلاته الأدبية منذ سن مبكرة من خلال المشاركة بالمناسبات الدينية والاجتماعية. كتب خلال مسيرته المهنية العديد من الدواوين والقصائد التي نُشر عدد منها في مختلف وسائل الإعلام المحلية والعربية².

وفي الأحساء بدأ الشاعر بالظهور على الساحة الأدبية والشعرية على حدٍ سواء، وكان كثير الظهور على الشاشات الإعلامية المحلية والعربية وكذلك العالمية، ويعدّ من أكبر الأعضاء البارزين في الجمعية العربية

(1) <https://poetsgate.com/index.php> موقع بوابة الشعراء الإلكتروني.

(2) arageek.com موقع أراجيك الإلكتروني.

السعودية التي كانت ترعى الثقافة والفنون الأدبية آنذاك، وهو عضو في النادي الأدبي الذي كان تابعاً للمنطقة الشرقية³
نشاطاته

قدم برنامج (أنتم الناس) على القناة الثقافية عام 2014م، وبرنامج (قول على قول) على شاشة القناة الثقافية في 2023م، وشارك في العديد من المسابقات وحصد الكثير من الجوائز الشعرية أهمها: جائزة الثبتي في فرع الديوان عن ديوانه (كي لا يميل الكوكب) 1436هـ، وشهادة الاستحقاق والتقدير في تخصص الشعر العربي برتبة العالمية بما يعادل دكتوراه الدولة عن ديوانه (أعشاش الملائكة) من جامعة الحضارة الإسلامية المفتوحة في بيروت، وجائزة أفضل ديوان شعري في مسابقة البابطين للإبداع الشعري 1434هـ عن ديوانه (ما وراء حجرة المغني)، فضلاً عن جوائز أدبية أخرى كجائزة أبها وجائزة المدينة المنورة وجائزة عجمان والشارقة والبابطين وعاظ جائزة المركز الأول في برنامج المعقلة من وزارة الثقافة السعودية في عام 2024⁴.

دواوينه:

ظلي خليفتي عليكم 1996م، و عناق الشموع والدموع 1999م، ورقصة عرفانية 1999م، حمائم تكنس العتمة 2000م، وأولمبياد الجسد 2001م، ونحيب الأبجدية 2003م، وأعشاش الملائكة "خميرة الغضب سابقاً" 2004م، وما وراء حجرة المغني 2010م، وسهام أليفة، وأنا له القصيد 2013م، وكي لا يميل الكوكب 2018م، وقريب من البحر بعيد عن الزرقة 2018م، وتضاريس الهذيان 2020م، وطيور تحلق في المصيدة 2021م، والأعمال الكاملة (3 مجلدات) 2015م. وصدرت الطبعة الثانية 2018م.

والمتتبع للأعمال الشاعر جاسم الصحيح العديد من القصائد الشعرية التي جمعها في الكثير من الدواوين يجدها ذات المضمون المحدد، فقد كتب في الغزل والوصف والمديح والرثاء والنسيب والحكمة كذلك، ووصلت به مؤلفاته إلى مرتبة الشهرة العالية وعده أحد الأدباء المعاصرين الذين كتبوا في الشعر العربي بمختلف ألوانه الشعرية.

ب- نظرة في الحجاج وحجاج المحسنات اللفظية:

ذكر بيرلمان وظيفة الحجاج بقوله : حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم الإقناع⁵، وعرفه طه عبد الرحمن بأنه: "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"⁶، وهو "طريقة تحليل واستدلال بقصد تقديم مسوغات مقبولة للتأثير في الاعتقاد والسلوك، وهو عملية اتصالية يستعمل فيها المنطق للتأثير في الآخرين"⁷، ومن ثمّ فالحجاج اقترن بقصدين قصد الادعاء الذي اختص به المتكلم، وقصد الاعتراض، الذي هو من حق المستمع، والخطاب الحجاجي يستهدف به التوجه إلى الغير للإقناع؛ وبهذا كان الحجاج وسيلة للتفكير والتواصل مع الآخر، والتفاعل بين طرفين من أجل جلب منافع أو دفع مضار أيضاً، وهذا ما يمنح للخطاب الحجاجي أبعاداً عملية لتقبل الآراء والاتجاهات والانتقادات والتوجيهات⁸.

وعن ملامح الحجاج يقول الطلبة: "يتميز الحجاج في تصور بيرلمان بخمسة ملامح رئيسية: أن يتوجه إلى مستمع، وأن يعبر عنه بلغة طبيعية، ومسلّماته لا تعدو أن تكون احتمالية ولا يفنقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة، وليست نتائجه ملزمة"⁹، فالحجاج إذن ومنذ الوهلة الأولى نظرية خطابية تدرس التقنيات الخطابية في علاقتها بوظيفتها الحجاجية التأثيرية، ونعدها حججاً موجهة للدفاع عن أطروحات أو دحضها، وتبحث شروطها وآثارها دون الاهتمام لطبيعتها إنها في نظره حجج وعناصر إثبات موجهة للإفحام أو الاقتناع بغض النظر عن الشكل الذي تتخذه أو طبيعة الوسط الذي تستعمله ولا فرق في كونها شفوية أو مكتوبة، ولا داعي للاقتصار على الخطاب الموجه إلى جمهور ساحة عامة أو ميدان فسيح¹⁰.

⁽³⁾ ينظر: <https://www.ksaency.com/> موسوعة المملكة العربية السعودية.

⁽⁴⁾ ينظر: <https://poetsgate.com/index.php> موقع بوابة الشعراء الإلكتروني،

<https://www.almanwar.com/> المنور الإلكتروني.

⁽⁵⁾ الحجاج في الشعر العربي القديم، 21.

⁽⁶⁾ اللسان والميزان: 226.

⁽⁷⁾ البلاغة والاتصال، جميل عبد المجيد، 106.

⁽⁸⁾ ينظر: ابعاد حجاجية وطاقت استدلالية في نصوص من الشيخ القرضاوي المقاصدية، 44.

⁽⁹⁾ الحجاج مفهومه ومجالاته 1/ 489.

⁽¹⁰⁾ ينظر: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، 44.



العدد (6)
أكتوبر 2025
Volume (6)
October 2025

المجلة العربية للدراستات الإنسانية والاجتماعية

Arab Journal of Humanities and Social Studies

ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

ويعدّ الحجاج من أهم الوسائل التي يستعملها الشاعر من أجل التأثير في نفوس المتلقين ومن أدواته ضروب علم البلاغة كالبيعية: الطباق والمقابلة والجناس، فالبلاغة عند ابن المعنز الربط بين البيان والشعر قال: البيان اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء والنقاد والمتأدبين منهم فأما العلماء باللغة والشعر فلا يعرفون هذا الاسم¹¹، ولو جئنا بما استقر عند الدارسين تسميته بنظرية البديع فإننا نجد مثلاً "العمري يلخص النظرية عند ابن المعنز بأن البديع نظرية شاكلة تعتمد المكونات اللغوية للخطاب بقطع النظر عن المقام وأحوال المخاطبين، وهذا يعني أن البلاغة العربية قد تشعبت منذ نشأتها إلى شعبيتين: الأولى البيان أو نظرية الاقتناع القائمة على المقام، والأخرى البديع أو نظرية الشعر القائمة على البناء اللغوي دون اهتمام بأحوال المخاطبين"¹²، وهذا الجزم بعدم مراعاة أحوال المخاطبين يجانب الدقة، فمراعاة أحوال المخاطبين كان حاضرًا في كثير من الكلام العربي الموروث حتى في التحسينات البيعية وتزيين الخطاب، فالبيدع "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة وهذه الوجوه ضربان ضرب يرجع إلى المعنى وضرب يرجع إلى اللفظ"¹³، وهذا العلم يخلق إيقاعًا موسيقيًا رنانًا يطرب الأذن ويهز الوجدان ويستولي على الأذهان، ويوفر حظوظًا من القيم الجمالية في الموسيقى والخيال الصوتي ومتعة الأذن إلى جانب غداء الفكر بالمضمون العقلي¹⁴، ولا اعتراض على رؤية د. طه عبد الرحمن بأن أساليب مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها ليست طرق اصطناع التحسين والبديع وإنما هي أصلًا للإبلاغ والتبليغ¹⁵، والأمر مقرون بمقدرة الشاعر على توظيف البديع في ما نحن بسبيله من تحقيق الإقناع والتأثير في المتلقين.

لقد نظرت البلاغة الجديدة إلى النص الحجاجي بأنه "يحمل بذرة تتضمن قدرًا تأثيريًا مضمّرًا أو معلنًا لتحويل أو تعديل وجهة تفكير المخاطب أو حمله على الزيادة من مواقفه داخل مسار تواصل غير الزامي"¹⁶. وانطلاقًا من الفئات فإن المحسنات البيعية لا يقف دورها عند الوظيفة الشكلية ولكن لها دورًا حجاجيًا لا على سبيل الزخرفة ولكن بهدف الاقتناع ولبلوغ بالأثر مبلغه لأبعد حتى لو تخيل الناس غير ذلك¹⁷، فنرى أن الحجاج البيديع يستعمله الشاعر الذي يريد أن يقدم هدفه وحجته إلى المتلقين لاسيما موضوعات متنوعة كالحب والقضايا الاجتماعية، ويعتمد أساليب البلاغة يعدها من أدواته الحجاجية؛ لأن "البلاغة تنكئ على التأثير في المتلقي عن طريق الأساليب البيانية والجمالية بمعنى محاولة اقتناع المتلقين أجل قبول قضيتها والفعل عن طريق الجمع بين الأفكار والمشاعر"¹⁸.

ومن ثمّ فالمحسنات البيعية من الوسائل التي تعطي للنص قوة حجاجية "فإن محسنًا لهو حجاجي إذا كان استعماله وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر يبدو معتادًا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة، وعلى العكس من ذلك فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة أي باعتباره محسن أسلوب ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الاقتناع"¹⁹، فالمقياس إذن هو تأثير هذا الأسلوب أو ذلك؛ ومن قبل ذكر بيرلمان أن الأشكال الأسلوبية تكون ذات قيمة حجاجية إذا أحدثت تغييرًا في الرؤية، وكذلك إذا بدا استعمالها طبيعيًا في ذلك الموثق. أما إذا لم يحقق إذعان المرسل إليه لهذا الشكل الحجاجي فإن الصورة تعد من قبيل الزخرف²⁰.

وكان تمامًا على الذي تقدم أن نقول: إن من مصلحة الخطاب الحجاجي أن يقوي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر المعنى بطريقة أجلي وأوقع في النفس ... "من هنا فقد اهتمت كثير من

(11) ينظر: كتاب البديع، 58.

(12) الوسائل الحجاجية في الخطب المنبرية، 4.

(13) الإيضاح في علوم البلاغة 4/ 504.

(14) ينظر: البديع لغة الموسيقى والزخرف، 18.

(15) ينظر: اللسان والميزان 290.

(16) الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة 43.

(17) ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته 39، واستراتيجيات الخطاب 389.

(18) آليات تشكيل الخطاب الحجاجي 73.

(19) التداولية والحجاج، 51.

(20) ينظر: المصدر نفسه، 51.



العدد (6)
أكتوبر 2025
Volume (6)
October 2025

المجلة العربية
لِلدراسات الإنسانية والاجتماعية

Arab Journal of Humanities and Social Studies

ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

الدراسات الحجاجية بالكشف عن البعد الحجاجي في الفنون البلاغية التي لم تعد مجرد أدوات تزيينية بل أساليب تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية وإفادة أبعاد تداولية²¹. وبعد طول مكث بديوان الشاعر الصحيح والتبصر بقصائده ألفينا أن كثيراً من الأبيات قد ارتبطت بحجج شبه منطقية، وهي عند دارسي الحجاج التي تفهم بتقريبها من التفكير الصوري ذي الطبيعة المنطقية الرياضية²²، وتستدعي فيها "المقاييسات والتوجيهيات والتجريدات وهي كلها من دواعي اثبات البرهان، وتمكين الدليل، وهذا ما جعل الحجج شبه المنطقية مختصة لقوة عالية في تمكين الاقتناع وترسيخ البقين بالأطاريح المعروضة والمواقف المقدمة حقائق يعتقد فيها الجمهور ومقررات يؤمن توثيقها"²³.

المبحث الثاني: حجاج المحسنات اللفظية

أ- حجاج الجنس:

الجناس: "اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوق إليه"²⁴، قال الجرجاني: "قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاه، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفأها، فبهذه السريرة صار التجنيس - وخصوصاً المستوفى منه المُتَّفَق في الصورة - من حلى الشعر، ومذكوراً في أقسام البديع"²⁵.

ومن الشواهد في ديوان قريب من البحر بعيد عن الزرقة ما جاء في قصيدة الرجل المتشجر بالكائنات:

أعمى يفتش عن حقيقة سره وعلى المجاز تفتحت عيناه
وطوى على يده المدى فكأنما كل المدارات التقت بمده²⁶

استعمل الشاعر الجنس الناقص ممثلاً ب: المدى والمدارات وبمده، وهذا الجنس له الجنس بعد الحجاجي بتكرار اللفظ على معنيين مختلفين وهذا الاختلاف يسهم في دعم حجة المتكلم للتأثير في المتلقي، وقد أمكن أن نربطه بنوع من الحجاج يسمى (حجة التبديد)، وفيه تقوم على عدم هدر الطاقات ممن يبتغي إنجاز عمل معين، وعند بيرلمان: "لتجنب الجهد المبذول بهدف بلوغ غاية ما سيواصل المرء العمل في الاتجاه نفسه هذه الحجة تصلح كذلك لحث من يملكون مواهب متميزة أو معرفة أو كفاءة أو استثنائية على عدم تركها طي الإهمال"²⁷.

وليس أدل على ذلك من حديث الشاعر عن توجيه النظر إلى ما وصفه بأعمى في بلوغ الغاية وبلوغ المدى، مع ملاحظة التشاكل اللفظي في (المدى)؛ ليضيف لنا تليغاً لرسالة اعتمادها على تشاكل اللفظة بأخذها الطابع التأثيري الجمالي إلى جانب الطابع المعنوي العلائقي، والتشاكل في الألفاظ يؤدي إلى تجلية غموض ملفوظ كما يرى جريماس²⁸.

وفي حديثه عن النيل تستخلص حجة التبديد أيضاً، قال في قصيدة بيان النيل في فيضانه:

النيل فاض فانصتوا لبيانه ماذا يقول النيل في فيضانه
وأزاح عن مجراه كل حجارة مشبوهة وألح في جريانه²⁹

تعود حجاجية تعدد الجنس - هنا - ولا سيما التام منها - إلى أن المتلقي في الوهلة الأولى بتوهم أن المعنى مختلف على الرغم من تشابه الألفاظ فيقتنع بالحجج ويرتاح لها فيحقق هذا الحجاج بالإقناع.

وفي قصيدة مَجَرَات هَجْرِيَّة

تَجَلِّين لي عن ألف بدرٍ ولم أخلُ بأن يتجلى الموت في هيئة البدر

(21) التداولية والحجاج الحباشة 50.

(22) ينظر: الإمبراطورية الخطابية 125.

(23) الحجاج والحقيقة وأفاق التأويل 274.

(24) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح 2/ 282.

(25) أسرار البلاغة، 524.

(26) الديوان، 11.

(27) الإمبراطورية الخطابية، 134.

(28) لمزيد تفصيل ينظر: مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية لجوزيف كوريتس، 82.

(29) الديوان، 121.

تهاويثُ في بئر الذهول ولم أكن تهاويث لكني على وشك البئر³⁰ نلحظ النزعة الصوفية في هذا البيت، واستعمال الجنس التام (بدر/ البدر، بئر / البئر)، وعلى عاتق المتلقي يقع التفريق بين مفهومها الذي قصده الشاعر، وهذا يقارب الحجة القائمة على الفصل بين المفاهيم، وفيها يمكن أن تقدم الأزواج الفلسفية وفق نموذج الزوج: ظاهر/ واقع، ويتم التعبير عن ثنائية ظاهر/ واقع في اللغة بطرق مختلفة ومنه في عملية الفصل اللغوي للمعاني أو أية فصل للمفاهيم³¹، ولتوضيح الحجة من الشعر العربي قول الشاعر:

قامن تظللني من الشمس نفس أحب الي من نفسي
قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس³²

فالقارئ سيقوم بعملية فصل كي يميز بين المقصود من الشمس الأولى والثانية والامر سيتم بخصوص العبارات التي توصف بتحصيل الحاصل التي لا تأخذ أي معنى إلا بإعادة تأويل أحد أطرافها يفضل عملية فصل: المرأة هي المرأة والأعمال هي الأعمال³³.

ب- حجاج الاقتباس

هو أن "يضمّن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه"³⁴، وفي جاء في معجم المصطلحات: إدخال المؤلف كلاماً منسوباً للغير في نصّه، ويكون ذلك إما للتولية أو للاستدلال... والاقتباس في البديع العربي، أن يتضمّن الكلام نثرًا أو شعرًا شيئاً من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، لا على أن المقتبس جزء منهما، ويجوز أن يغيّر المقتبس في الآية أو الحديث قليلاً³⁵، فحين يستشهد الكاتب بنصوص وأقوال من خطابات أخرى ويفضلها على أدلته وحججه فإنه لا ينتقيها إلا إذا كانت أكثر قوة من أدلته وحججه لإثارة المتلقي والتأثير فيه؛ لأن هذه الشواهد ذات قوة حجاجية قادرة على اقناع المتلقي وتستمد قوتها من مصدرها ومن مصداقية الناس عليها وتواترها³⁶.

والمحاج لا يلجأ الى الاقتباس من القرآن والحديث إلا ليعتبر "من قوتها قوة وبأخذ من قداستها ويعطيها لحججه كل ذلك كي يضمن لها التأثير المرجو والاقناع المطلوب"³⁷، وارتبط الاقتباس بحجة الشاهد بتنوع شواهد الشاعر الصحيح على:

– حجة الشاهد قرآني

قال الشاعر جاسم الصحيح في قصيدة الشاعر المشتجر بالكائنات:

ماض إلى المعنى مضي نبوة فكأنه موسى إلى سينا³⁸

قوله: فكأنه موسى إلى سينا اقتباس من قصة سيدنا موسى، قال تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ (مريم 52)، وقوله – جلّ اسمه –: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى﴾ (طه 80) أي طور سيناء

واختيار الشاعر للاقتباس المكاني في تدعيم حجة الشاهد له حضوره عند المتلقي؛ فسينا تنفرد بشواهد إلهية متعددة، فهي البقعة المباركة، ومكان التجلي، وفيها جبل الطور الذي له قدسية من بين جبال الأرض بالقدسية التي قصها القرآن الكريم في قصص موسى – عليه السلام –، ومن ثم فالمكان يمثل جزءاً روحياً عميقاً في تاريخنا الديني، وقد حدد النقاد أنواعاً من الأمكنة منها: المكان الأليف والمكان المعادي، وهما ذاتا فعل نفسي بالدرجة الأولى، أي أنهما يتحدان بحسب شعور الشخص ألفة أو غير ألفة، وعلى هذا الاعتبار قد يكون البيت مكاناً غير أليف، وساحة الحرب مكاناً أليفاً³⁹، وسينا – وفق هذه الثنائية – من الأماكن التي يألفها الناس عبر العصور،

⁽³⁰⁾ الديوان، 255.

⁽³¹⁾ ينظر: الإميراطورية الخطابية 216.

⁽³²⁾ البيت لابن العميد، ينظر معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص، 2/ 113.

⁽³³⁾ ينظر: نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان 98.

⁽³⁴⁾ إيضاح في علوم البلاغة، 575.

⁽³⁵⁾ ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، 37.

⁽³⁶⁾ ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي 90.

⁽³⁷⁾ الحجاج في الشعر العربي 117

⁽³⁸⁾ الديوان، 10.

⁽³⁹⁾ ينظر: جماليات المكان لجاستون باشلار، 45.



العدد (6)
أكتوبر 2025
Volume (6)
October 2025

المجلة العربية للدراستات الإنسانية والاجتماعية

Arab Journal of Humanities and Social Studies

ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

ذاً، فالمكان الشعري هو يراه شاعرنا بذاته ويتفاعل معه بخياله لا بواقعه الافتراضي، حسب الحالة الحسية والنفسية، وتتحقق الشعرية نحو دلالات وإيماءات تحمل قيمة حسية وتجريدية. ويستمر في حجة الشاهد من القصيدة نفسها

زيت القناديل الحزينة زيته وضياء مشكاة الهموم ضياه⁴⁰

اقتباس من قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ تُوِّرْ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور 35). ومن وعي الشاعر أنه عدل عن النور ليأتي بالضياء، بآية أن النور في الآية الكريمة خاص بالخالق – تعالى اسمه – والضياء هنا جاء لمخلوق، ولنا أن تتمثل بتعليق السهيلي على بيت ورقة بن نوفل، الذي قال فيه:

ويظهرُ في البلادِ ضياءُ نورٍ يقيمُ به البريةُ أن تموجا

وهذا البيت يوضح لك معنى النور، ومعنى الضياء، وأن الضياء هو المنتشر عن النور، وأن النور هو الأصل ومنه مبدؤه، وعنه يصدر وفي التنزيل: (فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم) (البقرة 17)، وفيه (جعل الشمس ضياء والقمر نورا) (يونس 5) لأن النور لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس، وفي الصحيح: (الصلاة نور، والصبر ضياء)، وذلك أن الصلاة هي عمود الإسلام، وهي ذكر وقرآن، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فالصبر عن المنكرات، والصبر على الطاعات هو الضياء الصادر عن هذا النور، الذي هو القرآن والذكر⁴¹.

– حجة الشاهد الشعري

قصيدة دعوة للغرق

تعندي قبل أن يُفَيِّقَ امرؤ القيس وتصحو بطيرها الوُكُنَاتُ⁴²

اقتباس من معلقة امرئ القيس المشهورة

وَقَدْ أَعْتَدِي وَالطَّيْرَ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدِ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكِلِ⁴³

إن اختيار الشاعر لبيت امرئ القيس قد قوى إثبات حجته، ويستبين حظ هذا الإثبات بثلاثة أنماط هي:

ح _____ النمط الزماني (الغدو)

ح _____ النمط المكاني (مواقع الطير)

ح _____ النمط الرمزي (معلقة امرئ القيس)

امرؤ القيس من أفضل شعراء العرب، واختيار البيت لما حمله من ثنائية الزمان والمكان، فالزمان في الغدو (تعندي)، الطير في وكناتها كناية عن الخروج مبكراً وما زالت الطيور في عشها، وهو وقت الفارس الماهر للصيد، والمكان في مواقع الطير (الوكنات) للغنيمه، والمقام مدح للفروسية بقوله: " وربما باكرت الصيد قبل نهوض الطير من أوكارها على فرس هذه صفته"⁴⁴، كما ارتباط الشاهد بما في الذهن العربي من مكانة الفروسية والخيل، فلها عظيم قدر في نفوس العرب.

(40) الديوان، 19.

(41) ينظر: الروض الأنف 165/2.

(42) الديوان، 195.

(43) ديوان امرئ القيس، 21.

(44) شرح المعلقات، 64.

المبحث الثالث: حجاج المحسنات المعنوية

أ- حجاج الطباق

الطباق هو "الجمع بين الشيء وضده في الكلام وهما يكونان اسمين أو فعلين أو حرفين مختلفين"⁴⁵، والضد كما قبل أقرب خطوًراً بالبال عند ذكر ضده فالطباق ينقل غرض المتحدث ويبرره في صور قوة مؤثرة. جاء في قصيدة المتنجر بالكائنات:

- عرس ولكن لا عروس فلم يزل يحببه بالقدر الذي يحياه⁴⁶

وكذا حجة التناقض في قصيدة تأويل

أول ما لا يؤول منك

فأشعر بي عالقاً

مثل جبل بين السماوات والأرض⁴⁷

شكل الخطاب الشعري بإيراد المتضادات (عرس / لا عروس) (أول/ لا يؤول) تقنية اقناعية افعال لا أفعال (الإثبات والنفي)، وحجاجية الطباق ظاهرة لتوضيح الفكرة والتأثير فيها، وللتوضيح:

ن _____ النتيجة (يحبيه بالقدر) (فأشعر بي عالقاً)

ح _____ افعال (عرس) (أول)

ح _____ لا افعال (لا عروس) (لا يؤول)

ولو يمتنا أبقارنا تلقاء أنواع الحجج المناسبة للفئات وجدنا أن الشاعر قد وظف الجنس في حجة شبه منطقية أطلق عليها الدارسون حجة التناقض والتعارض، والمقصود بالتناقض أن تكون "هناك قضيتان في نطاق مشكلتين أحدهما نفي للأخرى ونقض لها كأن يقول: المطر ينزل ولا ينزل في حين أن عدم الاتفاق أو التعارض بين ملفوظين يتمثل في وضع ملفوظين على محك الواقع والظروف أو المقام لا اختيار احدي الاطروحتين واقصاء الأخرى فهي خاطئة"⁴⁸.

ونجد أن الطباق مثل ظاهرة أسلوبية تكتسي ثراء دلاليًا يؤدي الى اقناع المتلقي، قال الصحيح في قصيدة الشاعر المتنجر بالكائنات

في كل قافية تجد بداية للخلق تجتمع أمه وأباه

ما شع مصباح القصيدة في المدى إلا وصادف آدم حواه⁴⁹

فاستعمال (امه/ أباه، آدم / حواه) يقرب من حجة التضمن التي تقوم على الاستقراء التام من خلال تضمين الجزء في الكل، فيصبح ما يصدق على الكل أيضا على الأجزاء ثم تصير هذه القاعدة العامة القابلة للبرهنة، فهي حجة شبه منطقية، ومن أهم علاقات التعددية ذات الصبغة الحجاجية شبه المنطقية علاقة التضمن (relation implication) وهي العلاقة المنطقية التي تبين أن قضية تتضمن قضية أخرى⁵⁰، وحجة التضمن ينظر إليها من "زاوية الكم، والتجانس بين ثنائيات (أم / أب، آدم/ حواه) مجموعة منكررة من الوحدات الدلالية تضمن "قراءة موحدة ممكنة مثلما تنتج قراءات جزئية للملفوظات وعن حل ملاساتها موجهة بالبحث عن قراءة موحدة"⁵¹.

وفي القصيدة نفسها قال:

ما قال قط وجدتها وهو الذي نشر الوجود برأسه وطواه⁵²

برع الشاعر في استعمال الجملة الفعلية لطباق الايجاب بين فعلين (نشر وطواه) في ثبوت الفعل ويتضح ذلك عبر وصفه بالفعلين الماضيين، والنشر والطوي ينبئ عن ثقافة الشاعر اللغوية؛ إذ لا بد بتأنيته قارة في بلاغة

(45) جواهر البلاغة 303

(46) الديوان، 12.

(47) الديوان، 272-273.

(48) أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية 325.

(49) الديوان، 13-14.

(50) ينظر: في نظريات الحجاج دراسات وتطبيقات، 47.

(51) مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية لجوزيف كوريتس، 65.

(52) الديوان، 9.



العدد (6)
أكتوبر 2025
Volume (6)
October 2025

المجلة العربية للدراستات الإنسانية والاجتماعية

Arab Journal of Humanities and Social Studies

ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

العرب ممثلة بالظي والنشر، وهذا من محطات الإبداع الذي يتخذ من الاتجاهات الأخرى سبيلاً للوصول إلى إثبات حجته، ويكون بـ " ذكر متعدّد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه"⁵³؛ ويكون النّشر فيه على "ترتيب اللف، بأن يكون الأول من النشر للأول من اللف، والثاني للثاني وهكذا"⁵⁴.

ويسطر الشاعر طباقات أخرى لغرض اقناع المتلقي بحجة التمثيل، ونستظهر ذلك في قوله من قصيدة ريح الكتابة.. ممحاة الضجر

تاهت عنك سكته

كأنه عبر الدنيا وما عبرك

لم تنظر عمرك الآتي

بمنعطف من الزمان

ولكن عمرك انتظرك⁵⁵

طباق سلب (لم تنظر / انتظرك) المسبوق بتمثيل عدم العبور من حجة التمثيل القارة في ضروب الحجاج، ويكون بالحقاق "أحد الشينين بالآخر، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه أو على أمر بديهي لا تتكره العقول، ويبين الجهة الجامعة بينهما"⁵⁶.

والظاهر أن الجامع في التمثيل الحجاجي المنطقي بين ركنيه يكون عقلياً أما الجامع في التشبيه البلاغي فيكون تخييلياً، كما في قول الشاعر من قصيدة حديفة بلا غناء:

لا شيء من كذب الأيام يملؤنا بالصدق مثل أكاذيب المغنينا⁵⁷

وقد أسهم الطباق الاسمي (الكذب/ الصدق) في دعم حجة النص عبر بيان غاية مقصودة أراد منها الشاعر بأقصى متناقضين من أجل أن ينتصر لقضيته ويسوغها في النفوس ويتمّ تمكينها في الذات، وصولاً لإصابة المعنى والقصد إلى الحجة، فايراد الطباق "تعبير في أكثر الأحيان عن حركة نفسية متوهجة، وصراع بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، بين الراهن والمتوقع. والمبدع يلجأ إليه لتصوير الهوية القائمة بين واقع مرفوض ومستقبل مأمول، والقصد منه العمل على بناء عالم مخالف لما هو قائم بالفضل. فكثرة المتعارضات تشف عن غليان داخلي ورفض للأمر الواقع"⁵⁸، وقد يعمل على "تشويش وصول الرسالة بسلاسة إلى القارئ، ومن ثم يشكل ذلك علامة تدفع إلى جعل القارئ يسعى إلى استهلاك النص فعلياً"⁵⁹.

وتتجلى حجة أخرى عمادها المثال باستعمال (مثل أكاذيب المغنينا)، وقد قضت دراسات الحجاج أنه في حجة المثال "يحتاج المرء بالمثال يعني أنه يفترض وجود أمور منتظمة قابلة للتعميم تقدم الأمثلة تجسيداً لها، وما يمكن أن يناقش حين يلجأ إليها هو المدى الذي تتسع له القاعدة ودرجة عموميّتها التي تبررها الحالة الخاصة وليس مبدأ التعميم نفسه"⁶⁰، ويؤتى بالمثال في الحالات التي لا توجد فيها مقدمات أن المحاجة بواسطة المثل تقتضي وجود بعض الخلافات في شأن القاعدة الخاصة التي جيء بالمثل لدعمها وتكريسها⁶¹.

وحقيق بالاتفات أننا إذا قاربنا قول الشاعر (أكاذيب المغنينا) بالكذب عند النقاد وجدناه القول المتباين عن الواقع سواء في الشعر أو غيره من الفنون التعبيرية، ويوظف الشاعر الإيهام والإغراق والتوهيل وإضمار المعنى المقصود بقول مغاير للحقيقة؛ وصولاً لما يريد إيصاله إلى المتلقي، على أن الإفراط في الكذب وتجاوز الحدود؛ يدخل غمار الإحالة والإغراق"⁶²، ويخرج بالنص عن "حدّ الإمكان إلى الامتناع أو الاستحالة"⁶³، وأمر الغلو

⁵³ الإيضاح في علوم البلاغة، 503.

⁵⁴ حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، 60 / 4.

⁵⁵ الديوان، 109.

⁵⁶ منهاج الجدل في القرآن الكريم 87

⁵⁷ الديوان، 247.

⁵⁸ علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، 69.

⁵⁹ عتبات - جبرار جبينت من النص إلى المناص، 67.

⁶⁰ الإمبراطورية الخطابية 188.

⁶¹ ينظر: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية 336-337.

⁶² العمدة، 63 / 2.

⁶³ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، 76.



العدد (6)
أكتوبر 2025
Volume (6)
October 2025

المجلة العربية لِلدراسات الإنسانية والاجتماعية

Arab Journal of Humanities and Social Studies

ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

جائز عند قدامة بن جعفر مادام "تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه وليس خارجًا عن طباعه إلى ما لا يجوز أن يقع له"⁶⁴، وفي هذا الأمر جدل واسع لبين النقاد لا مقام لعرضه في هذا الجهد.

ب- حجاج المقابلة

المقابلة "إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة"⁶⁵، وعند أهل البديع أن أعلى رتب المقابلة وأبلغها ما كثر فيه عدد من المقابلات لكن شريطة الابتعاد عن التكلف والاسراف فيه، وقد اشترط السكاكي أن تقتصر المقابلة على الأضداد فحسب⁶⁶.

والمقابلة تعرض مضمون النص بدقة عالية عبر "النقيض الذي يتأتى معه في المعنى، وهذا يجعل المتلقي يحدد معالم مضمون النص، وبالنهاية يرسخ المعنى في ذهنه"⁶⁷، وفي الشعر تكون المقابلة كاشفة لما يختلج في نفس الشاعر من مشاعر وأحاسيس متناقضة وبيان لمواقف الحياة (حزن فرح...)، ومن التمثل في قصيدة مرابط على ثغر الحياة قال الصحيح:

كن أول الأول في الثغر وكن آخر الآخر⁶⁸

يستعمل النص التقابل لبعده حجاجي اقتناعي يتمثل (أول الأول / آخر الآخر) فيوسع "الحيز بذكر مقابله الضدي بغية إعطاء زخم اقتناعي للفكرة، وأمكن أن نربطها بحجة التعددية كونها "الخاصية الصورية لعلاقة تمكن من المرور من اثبات وجودها بين طرف أول وطرف ثان وبين الثاني وطرف ثالث إلى استنتاج وجود العلاقة نفسها بين الأول والثالث... غير أن هنالك حالات يتم فيها الإقرار بالتعددية دون أن تكون مضمونة، فالممثل القائل أصدقاء أصدقائي أصدقائي يثبت تعددية حجاجية يمكن أن تكذبها التجربة"⁶⁹.

وفي قصيدة الخراب السائح

إذا التأم الشمال وجف جرح بياغتتنا نزييف في الجنوب⁷⁰

تتجلى حجة التقسيم (التأم الشمال/ نزييف في الجنوب)، وتتأتى بتقسيم الكل الممثل إلى وحدات حجاجية تنطوي تحته، وهي في مفاهيم الحجاج تسمى حجج التقسيم أو التوزيع، ويستخلص المرء نتيجة حول الكل بعد أن يستدل على كل جزء من أجزائه وينبغي لكي تحقق الحجة هدفها أن يكون تعداد الأجزاء شاملاً، فإذا أهملنا فرضية واحدة من بين النقط المعروضة انهيار كل البناء الذي شيدناه وأصبحنا عرضة للضحك⁷¹. ولنا أن ترصد حجة التقسيم أيضاً في قصيدة لا تقطمي عودنا

يا فتنة كلما استغنيت عاطفتي فيها تسامت على حل وتحريم

لم أختم من بداياتي مرارتها وجئت أطمع في شهد الخواتيم⁷²

نتطلع إلى تمثيل أنماط تسهم في إثراء الحجة، ونراها مستقرة في النزعة الدينية عند الشاعر بإيراد (الحل والتحريم/ والبدايات والخواتيم) فهي دلائل على تجليات النزعة الإسلامية في قصائد معينة للشاعر الصحيح، وتأكيد "البعد العقائدي والفكري في النصوص الحداثية، ومن ثم تكون "وسماً للمادة المكتوبة وتمييزاً لها عن سائر المواد المكتوبة"⁷³، فترسخ في ذهن المتلقي مرجعيته الدينية وبصمته الروحانية، ويتعزز الإقناع والتأثير بوجود المتقابلات بصورة وقرت في النفوس (الحلال يقابل الحرام / البداية تقابل النهاية)، وتمثل نوعاً من التضافر الأسلوبية الذي يجعل الفكرة المطروحة متماسكة لا يكاد يفرط عقدها، ويجعلها أكثر إحصاءً لدى المتلقي، ولا نعدم أن تمثّل ضرباً من محاكاة الواقع الذي يحيي فيه البيت الشعري حقيقة ما يجري من في الحياة، وتضحى مؤشراً بيانياً للنزعات النفسية التي تموج بها حركية النص.

⁶⁴ المنزوع البديع، 273.

⁶⁵ الصنائع، 337.

⁶⁶ ينظر: علوم البلاغة، 114.

⁶⁷ أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، 197.

⁶⁸ الديوان، 30.

⁶⁹ الإمبراطورية الخطابية، 149.

⁷⁰ الديوان، 87.

⁷¹ ينظر: نظرية الحجاج عند شايبم بيرلمان، 69.

⁷² الديوان، 276.

⁷³ عتبات النص لحصة المفرح، 58.

المبحث الرابع: تعاضد المحسنات البديعية

أ- التعاضد الثنائي الجناس والاقتراب

في قصيدة: القصيدة.. نجمة الأرض الأخيرة

فإن لم يكن بد من العلم فليكن سؤالاً ولن أمشي مع الخضر إمعة
وإن لم يكن بد من الخضر ذاته من الرشد أن اغتال ذاتي وأثبته⁷⁴

غير خاف توظيف الشاعر لصنفي البديع: الجناس مجيء (يكن) والاقتراب بحجة الشاهد القرآنية (الخضر)، ولئن كانت الغاية من المثال تأسيس القاعدة فإن الاستشهاد من شأنه أن يقوي درجة التصديق بقاعدة معلومة، وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام وتقوي حضور القول في الذهن، وعلى هذا فالاستشهاد يؤتي به للتوضيح في حين أن المثل يؤتي به للبرهنة ولتأسيس قاعدة، وعلى العموم فإن المثل يكون عادة سابقاً للقاعدة في حين يكون الاستشهاد لاحقاً قصد تقوية حضور الحجة وقصد جعل القاعدة المجردة حية وملموسة⁷⁵.

ونرصد حجة مؤسسة على بنية الواقع تسمى الحجة النفعية باستعمال الصورة المجازية في قضية الخضر:

ن _____ (السؤال - اغتيال الذات)
ح _____ (العلم)
ح _____ (الرشد)

فهي حجة النتائج التي تقيم فعلاً أو حدثاً أو قاعدة أو أي شيء آخر تبعاً لنتائجه الإيجابية أو السلبية⁷⁶، وتسمى الحجة البرغماتية التي لها تأثير مباشر في السلوك، وتعد من أهم وسائل الحجاج؛ لأن مدار هذه الحجة يقوم على تثمين حدث ما بذكر نتائجه فعلى هذا لا يكون المقصود من الحجة التثمين بل توجيه العمل أيضاً⁷⁷.

الجناس والطباق

ومنها في قصيدة: نبال مشروخة

مُتَلْنَا في الزمان وما اُمْتَلْنَا وما أشقى المثل بل امتثال
تفرقنا السنايل في الليالي وتجمعنا المناجل في الغلال⁷⁸

ظاهر المحسنات البديعية الجناس (مثلنا/ امتثلنا/ امتثال) والطباق (تفرقنا/ تجمعنا) يدل على براعة الشاعر في إقناع المتلقي بحجة المثل ونتيجة عدم الامتثال، وحجة الفارقة ونتيجة الجمع، وهذا التبادل في النتائج يقربنا من قاعدة العدل التبادلية التي "تقتضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخلية في مقولة واحدة"⁷⁹، فالتعامل مع "وضعيتين متشابهتين بطريقتين مختلفتين يعد سلوكاً غير عادل"⁸⁰ (بلا امتثال/ تجمعنا المناجل)، فالقاعدة الذهبية في كثير من أشكالها عند تطبيق قاعدة العدل على وضعيات يدعى أنها متناظرة: لا تفعل بالآخر ما لا ترغب أن يفعله بك... إن تطبيق حجة التبادلية يمكن أن يجعلنا بعملية قلب الوضعيات التي نقوم بها⁸¹، ووضعيات الامتثال Conformity: تبني توجهات واعتقادات، وسلوكيات متشابهة لنفس المجموعة من المعايير الاجتماعية التي هي قواعد ضمنية محددة، تتشاركها مجموعة من الأفراد، واتوجه تفاعلاتهم مع الآخرين⁸².

ب- التعاضد الثلاثي

الاقتراب والطباق والجناس

قصيدة ساكن بين احتمالين

ساعتي أقلت ولاريب فيها وتغابنت قبل يوم التغابن

(74) الديوان، 40.

(75) ينظر: محاضرات في البلاغة الجديدة، 74.

(76) نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان 72.

(77) ينظر: في نظرية الحجاج 1/ 129.

(78) الديوان، 75.

(79) في نظرية الحجاج 45.

(80) نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان 65.

(81) ينظر: الإمبراطورية الخطابية 146.

(82) ينظر: معجم مصطلحات علم النفس، 86.



العدد (6)

أكتوبر 2025

Volume (6)
October 2025

المجلة العربية
لِلدِّرَاسَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ

Arab Journal of Humanities and Social Studies

ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

بت أحيا على البواطن مني وأرى الموت أن تموت البواطن⁸³
نعتدّ بما بلغنا من الشاعر من تنوع للمحسنات البديعية في تدعيم الحجة والتأثر في المتلقي، وعمادها:
الاعتباس القرآني (التغابن)، في قوله - تعالى - ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التغابن 9)
الطباق (الحياة / الموت)
الجناس (البواطن/ البواطن)

وأراني أنال بتضاعف المزيد من الوجهة اللفظية المصرح فيها بين تصريحين يتخلفان بالنزعة الصوفية في فعل المتكلم من جهة النفس قيل أن تؤول إلى ألفاظ التبليغ فيهدى بسماعها إلى مقصدها، وقد عرف بها الشاعر الصحيح بقوله: (ساعتي أقلت ولأريب فيها/ وأرى الموت أن تموت البواطن) وعند أهل التصوف أهل الظاهر قائمون بإصلاح الظواهر، وأهل الباطن قائمون بتحقيق البواطن، وأهل الظاهر مغترفون من بحر الشرائع، وأهل الباطن مغترفون من بحر الحقائق⁸⁴.

وباستنباع ذلك التحليل يلوح في أفق البحث ما يشفع أن نوضح نوع الحجة المتحصلة في هذين البيتين وهي قارة في التماثل أو المطابقة والتعريف والتحليل وتحصيل الحاصل بساعة الموت وموت البواطن، فالمطابقة بين عبارتين يمكن أن تنتج عن التعريف أو عن التحليل، "فحين تدعي مطابقة المعرف مع المعرف بواسطة تعريف فإن الأمر يتعلق باستعمال شبه منطقي للتطابق، وبالفعل تسعى التعريفات للتعامل مع اللفظ المعرف والعبارة التي تعرفه باعتبار قابلين للتبادل إلا إذا أصررنا بصورة خاصة على كون المعرف لا يقدم إلا مقارنة"⁸⁵، فقولنا على سبيل المثال: "الرجل رجل أو الأب يبقى دائماً أباً وهو من قبيل تحصيل الحاصل وتجد معنى المعرف وهو رجل أو أباً هو نفسه معنى المعرف وهو الرجل والأب لهذا قيل عن مثل هذه القضايا ان احد ركنيها او لفظيها ورد على الحقيقة والأخر على وجه المجاز"⁸⁶.

الجناس والطباق والمقابلة

قصيدة الحب عزف مثني

ما زال مد الأمانى في حماسته يدنو وما زالت الشيطان تبتعد
تدور حولك هذي الأرض في خلدي تدور أوسع مما يدرك الخلد
البعد عنك سقوط لا قرار له والقرب منك صعود ماله أمد⁸⁷

تتحقق أوهاج المعاني في توالي المحسنات، لبتضح مسار الحياة، وتوخي المقصد ضمن تحكم يستند إلى حجج تتمثل الواقع، فكان أعلق باللسان وألف للسمع أن جاء الشاعر بالجناس التام (ما زال/ ما زال، تدور/ تدور) والطباق (يدنو/ يبتعد)، والمقابلة (البعد عنك سقوط/ القرب منك صعود)، ولقد يزغت في هذا الموقف إمارات على حجة الاتجاه التي تقوم على التحذير من مغبة اتباع سياسة المراحل التنافسية كقولنا: إذا تنازلت هذه المرة وجب عليك أن تتنازل أكثر في المرة القادمة⁸⁸.

نحن إذن أمام تحذير من اتباع طريق المراحل التنافسية مسيرة التنافلات إن بدأت لا تنتهي: (وما زالت الشيطان تبتعد/ تدور أوسع مما يدرك الخلد/ سقوط لا قرار له/ صعود ماله أمد)، ولها مزيد ارتباط بحجة التجاوز: هذه الحجة تقود إلى "التحذير من انتشار ظاهرة معينة بدعوى ما قد تسببه من عدوى في المجاور لها، وتشيع هذه الحجة في القضايا الأخلاقية التي يكون فيها التنازل هدماً وخطيراً ويؤدي إلى فساد كلي"⁸⁹.

(83) الديوان، 61.

(84) ينظر: جامع الأصول في الأولياء، 258.

(85) الإمبراطورية الخطابية 138.

(86) في نظرية الحجاج، 45.

(87) الديوان، 287.

(88) ينظر: في نظرية الحجاج 51.

(89) الحجاج في البلاغة العربية، 130.



العدد (6)
أكتوبر 2025
Volume (6)
October 2025

المجلة العربية للدراستات الإنسانية والاجتماعية

Arab Journal of Humanities and Social Studies

ISSN online: 3079-4099
ISSN print: 3079-4080

الخاتمة

- شكل الشاعر جاسم الصحيح في ديوان "قريب من البحر بعيد عن الزرقة" اللفظ واسترسل في المعنى وحاول إثارة المتلقي متأثراً في البيئة التي يعيش فيها من النزعة الدينية، وواقع الحياة، واختار الصور الشعرية بالتركيز على زاوية الإبداع والإفاضة من المعاناة، والخواطر الغزلية؛ وصولاً إلى إنتاج جديد ذي قيمة مجتمعية لا تخلو من تجربة شعرية عاشها الشاعر.
- حفل ديوان الشاعر بالمحسنات البديعية: المعنوية واللفظية، وبدت زينة لفظية مشفوعة باتخاذها آلية حجاجية تعكس رؤية الشاعر الواقعية، وساقها في خدمة النظم وإقناع المتلقي، وتحقيق مقاصد الشعر.
- تنوع الجناس بين التام والناقص لإثارة المتلقي وخلق إيقاع موسيقي مع تعدد المعاني؛ ليكون الحجاج فيه أكثر قبولاً وإقناعاً، وارتبط بحجة التبدد القائمة على عدم هدر الطاقات، واختار الحي (أعمى)، والموجود (النيل)، واتصل بحجة الفصل بين المفاهيم المناسبة للجناس التام ك(البئر، البدر).
- ارتبط الاقتباس بحجة الشاهد، واتكأ الصحيح على الاقتباس من القرآن والشعر ليوظف قوتها، ويعطي التأثير المرجو والإقناع المطلوب، ودعم حجته بتنوع الاقتباس بين القصص الأكثر وروداً في القرآن الكريم (موسى عليه السلام) وموضوع الإيمان (الله نور السماوات والأرض) المضمن في المجاز من إطلاق الأثر على مؤثره كما يطلق السبب على مسببه، وفي الشعر باختيار امرئ القيس الذي ارتبط الشاهد بالذهن العربي.
- استعمل الشاعر الطباق بنوعيه السلب والإيجاب وسيلة حجاجية وتقنية إقناعية من أجل إثبات المعنى وضده في ذهن المتلقي وتوضيح المعنى وتعزيز الفكرة؛ حتى لا ينكر المتلقي أطروحة الشاعر، وقد وظف حجة التناقض والتعارض، فعرض قضيتين أحدهما نفي للأخرى ونقض لها (عرس / لا عروس) (أول / لا يؤول، وبرع في استعمال الجملة الفعلية لطباق الإيجاب بين فعلين (نشر وطواه) لما فيها من التجدد والتغيير.
- استعمل المقابلات خدمة للحجة التي يريد بيانها وتهديم الحجة المتعكسة كاستعمال (أول الأول / آخر الآخر) بحجة التعددية التي تثبت وجودها بين أطراف عدة مع وجود العلاقة بينهم، وكان لبنائية حجة التقسيم (التأم الشمال/ نزيه في الجنوب)، أثرها في توظيف إمكانات الطباق في ردف الحجاج وتحقيق الإقناع، وتعزز الإقناع بوجود المتقابلات (الحلال يقابل الحرام / البداية تقابل النهاية)، وما حمله من التضافر الأسلوبي الذي يجعل الفكرة المطروحة متماسكة لا يكاد ينفطر عقدها.
- تعاضدت المحسنات البديعية؛ لتؤكد المعاني، وتقديم المواقف تجاه قضايا مختلفة، وللتأثير في المتلقي وإقناعه بما صدر عن الشاعر، واتضح الموقف الحجاجي في التأسيس على حجة الاتجاه التي تقوم على التحذير من مغبة اتباع سياسة المراحل التنازلية التي لم تأت اعتباطاً وإنما في سياق تصاعدي يوجه المتلقي نحو نتيجة معينة تحمل على الاقتناع، نحو: (وما زالت الشيطان تبتعد/ تدور أوسع مما يدرك الخلد/ سقوط لا قرار له/ صعود ماله أمد)

المصادر

- القرآن الكريم.
- 1. استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، ط1، لبنان، 2004.
- 2. أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط1، 1991.
- 3. أسلوبيه الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منى كاظم صادق، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، المغرب، 2015.
- 4. الإمبراطورية الخطابية، شاييم بيرلمان، ترجمة الحسين بنو هاشم، دار الكتب الجديدة، ط1، بيروت، 2022.
- 5. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مجموعة مؤلفين، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، ط1، تونس، 2011.
- 6. الابضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004.

7. البديع لغة الموسيقى والزخرف صطفي الصاوي الجويني، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 1998.
8. بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة كلية الآداب، ط1 17، مصر، 2005.
9. البلاغة والاتصال، جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، جميل عبد المجيد، دار غريب للطباعة والنشر، ط1، مصر، 2002.
10. التداولية والحجاج مدخل ونصوص، صابر الحباشة، ط1، دمشق، 2008.
11. جماليات المكان جاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، لبنان، 1984.
12. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم الهاشمي، المكتبة العربية للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2005.
13. حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، محمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2007.
14. الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم الطلبة، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت، 2008.
15. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني بنيتة وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد - عمان، 2017.
16. الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، تقديم حافظ إسماعيلي عليوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.
17. الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدهري، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، الدار البيضاء، 2011.
18. الحجاج والحقيقة وأفاق التأويل، علي الشبعان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2010.
19. ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، مصر، 1984.
20. ديوان غريب عن البحر بعيد من الزرقعة، جاسم الصحيح، دار ميلاد للنشر والتوزيع، ط1، المملكة العربية السعودية، 2018.
21. الروض الأنف شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعي السهيلي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، مصر، 2017.
22. عتبات - جيرار جينيت من النص إلى المناص، ترجمة عبد الحق بلعابد، تقديم سعيد يقطين، المؤسسة العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، بيروت، 2007.
23. عتبات النص في نماذج من الرواية في الجزيرة العربية 1990-2009، حصة بن زيد المفرح، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت، 2017.
24. علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، محمد أحمد قاسم، ومحبي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، طرابلس، لبنان، 2003.
25. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الحيل، ط5، مصر، 1981.
26. الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1999.
27. شرح المعلمات السبع، أبو عبد الله الحسين بن أحمد الحسين الزوزني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الدار العالمية للنشر والتجليد، ط1، مصر، 2008.
28. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط2، الرياض - المغرب، 2000.
29. في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدارسة الخطابة العربي، محمد العمري، دار أفريقيا الشرق للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2004.
30. في نظريات الحجاج دراسات وتطبيقات في نظريات الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، دار الجنوب، ط1، تونس، 2011.

31. كتاب البديع، عبد الله بن المعتز، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس إغناطيوس كراتشوفسكي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، الكويت، 1981.
32. اللسان والميزان للسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1998.
33. محاضرات في البلاغة الجديدة، محمد مشبال، دار الرافدين، ط1، بيروت، 2021.
34. مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية لجوزيف كوربيتس، ترجمة جمال حضري، المؤسسة العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دار الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
35. معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب، ط1، بيروت، 1995.
36. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1984.
37. معجم مصطلحات علم النفس، مدحت عبد الرزاق الحجازي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2011.
38. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي، تقديم وتحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، ط1، الرباط، 1980.
39. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط5، بيروت، 2014.
40. منهاج الجدل في القرآن الكريم، زاهر عواض الألمي، مطابع الفرزدق التجارية، ط3، المملكة العربية السعودية، 1984.
41. نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، الحسن بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2014.
42. النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، مكتبة الثقافة، ط1، المغرب، 2005.
43. جامع الأصول في الأولياء، ولبه متممات كتاب جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم، ضياء الدين أحمد لن مصطفى الكمشخاوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2021.
- 44. الدوريات**
45. أبعاد حجاجية وطاقت استدلالية في نصوص من الشيخ القرضاوي المقاصدية، معمر منير العاني، مجلة العصر للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 15، قطر، 2024.
46. آليات تشكيل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، هاجر مدقن، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ع 5، مارس، الجزائر، 2006.
47. الوسائل الحجاجية في الخطب المنبرية، شيماء بنت خالد الرفاعي، المجلة العربية للنشر العلمي، ع 7، الأردن، 2013.
48. موقع أراجيك الإلكتروني، arageek.com.
49. موقع بوابة الشعراء الإلكتروني، <https://poetsgate.com/index.php>.
50. المنور الإلكتروني، <https://www.almanwar.com>.
51. موسوعة المملكة العربية السعودية، <https://www.ksaency.com/>.